أنور إبراهيم

كنت فى السادسة عشرة عندما قدت مظاهرة لطلبة كلية الأمريكان الثانوية بالمنيا كنا فى هذه الفترة الساخنة من تاريخ مصر ١٩٥١ حملونى على الأعناق.. وفجأة وجدت نفسى أهتف.. يسقط الملك، ردد الطلاب الهتاف وشهق الرجال من فرط تهور هذا الفتى، أما الأمن فقد ترصدنى حتى احترقت القاهرة وأعلنت حكومة الوفد الأحكام العرفية واعتقلونى.

«أنور إبراهيم.. فى حواره معى»

الأب ممرض فى المستشفى الأميرى بالمنيا، الحياة جافة وفقيرة، ويزداد الولد أنور بؤسا برحيل الأم وهو تلميذ فى الثانية الابتدائية، ويحتضنه ابن عمه لويس إسحق، يهتم به، يلقنه أولا بأول أسرار الحياة، ثم يلقنه الماركسية ثم يضمه إلى تنظيمه «طليعة العمال» ويمضى الفتى أشهرا فى المعتقل حتى يسقط الملك الذى هتف هو بإسقاطه ويفرج عنه، لكنه يظل مطاردا من جانب الأمن، يسرع أنور فيتخرج من معهد متوسط ويعين مدرسا فى مدرسة ابتدائية أميرية اثنى عشر يوما فقط عملها كمدرس ثم بلغه اعتراض الأمن، ثم الفصل ليعمل فى مدرسة خاصة لفترة من الوقت، والأمن أيضا يطارده، ثم تأتى تعليمات التنظيم، مطلوب منك أن تحترف، وطبعا وافق فهكذا تعلم من أستاذه لويس إسحق، ترك المدرسة والأسرة والمنيا كلها ليقيم محترفا فى بنى سويف، ويتزوج وهو محترف ابنة عمه شقيقة لويس، فى يونيو ١٩٥٨ يتزوج وبعدها بستة أشهر فقط (أول يناير ١٩٥٩) يعتقل ويبقى فى أتون الاعتقال والتعذيب النازى حتى أبريل ١٩٦٤ وقبل الإفراج عنه بأيام يكون اغتيال أبيه الروحى لويس اسحق حمل جثمانه بين يديه صامدا متعمدا أن يطهر ثيابه وجسده بدماء أستاذه ورفيق دربه، يعود إلى المنيا ليفاجأ بعد أشهر بقرار حل الحزب، ويروى لى والدموع تملأ عينيه «كانوا قد قرروا حل الحزب، وكانوا يعرفون من يوافقهم

ومن يرفض الحل فتجاهلوا دعوة من يرفضون الحل لم يدعنا أحد، ولم يناقشنا أحد، ولم يسألنا أحد، ولم نعلم حتى بقرار الحل إلا من جريدة الأهرام» (فى حواره معى)، الحزب راح ولكن الروح الثورية المتأججة دوما تبقى، وثأر لويس لم يزل يغلى فى دمه فوهب نفسه لخدمة الناس فى المنيا، انضم لعديد من الجمعيات الأهلية «جمعية تنمية المجتمع» و«جمعية الشبان المسيحية»، ثم انتخب فى غفلة من الأمن عضوا بالمجلس المحلى، وعندما يأتى منبر اليسار يأتى أنور معه منذ اليوم الأول ويصبح أمينا مساعدا للحزب فى محافظة المنيا حيث أقام صرحا تجمعيا عاليا، وعندما تأتى انتفاضة يناير ١٩٧٧ يكون تجمع المنيا فى طليعتها، وتكالب الجميع للانتقام منه، فما أن قبض عليه حتى انطلقت ضده قوى عدة، الأمن وهذا طبيعى، لكن الرجل التجمعى الذى انتخب عام ١٩٧٥ عضوا فى المجلس المحلى، ظل يواجه الفساد والمفسدين حتى استجمع خصومه كل أصحاب المصالح، فساقوا ضده عشرات الشهود يتهمونه بأنه أحرق ودمر خلال المظاهرات».. وغيرها من تهم باطلة.. ويحكى أنور إبراهيم السبب «أصل الحكاية أننى فى أغسطس ١٩٧٦ طلبت فى جلسة المجلس المحلى للمحافظة إعلان أسماء الذين حصلوا على قروض من صندوق الخدمات قيمتها ٢٣٢ ألف جنيه، وكانت قروض بدون فوائد، ومضت عشر سنوات والقروض لم تسدد، وبرغم الإلحاح رفضت المحافظة إعلان هذه الأسماء فقط همسو فى أذنى إنها شخصيات مهمة ولا يجوز المساس بها. لكننى صممت على طلبى، كذلك فجرت فى المجلس خسائر المجمعات الاستهلاكية، والنهب والفساد فى عمليات رصف الطرق وسوء الخدمة بالمستشفيات، وبدأت عمليات اضطهادى ومحاصرتى وتهديدى عبر مكالمات تليفونية من مجهولين.. وفى المكالمة أسمع عبارات مثل «أصل حوادث العربيات مفيش أكتر منها.. أو ممكن حد يخطف ابنك» وقد أثرت ذلك كله فى تحقيقات النيابة» (فى حواره معى) والحقيقة أن مراجعة ملف تحقيقات النيابة فى قضية ١٩٧٧ بالمنيا تكشف عن حوار حاد جدا بين المتهم أنور إبراهيم، والمتهم الحقيقى رئيس النيابة الذى تمسك بأقوال شهود زور وحاول أن يلفق له اتهامات باطلة، وكان أنور يكيل الصاع صاعين للشهود لزور ويحكى أسباب غضب كبار أثرياء المحافظة منه، والشىء الغريب أن الجميع كانوا يعرفون أن أنور كان حاضرا لاجتماع فى المجلس المحلى للمحافظة عندما حاصر المتظاهرون مقر المجلس محاولين اقتحامه وارتعد الحاضرون وتعالى رجاؤهم له أن يخاطب الجماهير كى

يفكوا حصارهم عن مبنى المجلس، وخرج أنور فهتفت الجماهير له فدعاهم للانصراف بعيدا عن مبنى المجلس وإلى التظاهر السلمى وحماية الممتلكات، لكن أحدا ممن أنقذ أنور رقابهم لم يتقدم للشهادة لصالحه، ويوشك التحقق أن يلفق له تهمة قيادة المتظاهرين لإحراق مبنى الاتحاد الاشتراكى وغيره من المؤسسات، لكن التلفيق لم يفلح فقد تقدم للشهادة مئات من المواطنين مستعدين للشهادة لصالحه.. ويفرج عنه (محاضر تحقيق النيابة فى قضية يناير ١٩٧٧ - المنيا - ملف القضية ص٣٧٥) يفلت أنور لكن روح الانتقام تطارده فيقبض عليه بتهمة تحريض المواطنين على مقاطعة استفتاء ١٩٧٨، يأتون بشهود زور لكن العشرات يبدون استعدادهم للشهادة لصالحه فيفلت أيضا.

ثم تكون فتنة طائفية مدوية فى المنيا حيث قام المتطرفون بذبح عدد من المسيحيين فى قرية التوفيقية وتوشك المنيا أن تتفجر بأحداث دامية، ونزل أنور إبراهيم بكل ثقله تنقل بين الأطراف، جمع الكبار من الجانبين ورجال دين من الجانبين ونجت المنيا من الفتنة، ولكن ويالالغرابة ألقى القبض عليه بتهمة التشجيع على الفتنة، وفى هذه المرة ظل واقفا عدة أيام فى زنزانة مملوءة بالماء، وبعدها جاء ضابط كبير وقال بصراحة «الحقيقة إحنا عندنا تعليمات إن نخلص منك، وهناك اقتراح أن نلفق لك قضية مخدرات ولو احتجنا مائة شاهد حنلاقى» فتح الضابط باب الزنزانة وقال له روح بيتكم وفكر وأشوفك تانى بكرة، خرج أنور من الزنزانة إلى القطار إلى بيتى مع سليمان شفيق، حكى الحكايات كلها، تشاورنا واتفقنا على أن يسافر إلى العراق ليعمل هناك لبعض من الوقت، وسافر لأربع سنوات، لكنه عاد مريضا، سنوات السجن والتعذيب والتلفيق لم تنل منه لكن الغربة نالت منه، فعاد مصابا بأمراض غريبة، وإذ عاد إلى المنيا عادت المؤامرات ضده، فكر البعض بطريقة أخرى حاولوا إغراقه فى بئر الفساد «مرفق النقل الداخلى» لكنه أداره باقتدار ونزاهة وحقق ولأول مرة أرباحا طائلة، وهنا تجمع الفاسدون والمستفيدون القدامى وهددوه محاولين إخافته، فكتب فى مجلة«أهالى المنيا» رسالة لهم يؤكد فيها أنه لن يتراجع ولن يخاف وقال «إن مصدر الشعور الحقيقى بالأمان لأى مناضل هو الارتباط الحقيقى بالجماهير»، لكن المرض يتغلب عليه ويرحل لتكون جنازته عنوانا جديدا ومتجددا لرجل عاش حياته كلها فى خدمة الناس، آلاف من المشيعين فى المدينة والقرى المجاورة، تلاميذ المدارس، قساوسة وشيوخ، نساء بلا حصر.. جميعا ساروا معا ليشيعوا رجلا عاش خادما لهم.